أثر نظرية العامل على النحو العربي

د. عيسى اخضري.
أ. مسعودة نويجم.
جامعة الجلفة.

الملخص:

أثارت نظرية العامل في النحو العربي مشكلات لغوية خاصة منها تعدد الاراء و كثرة الجدل و الخلاف بين نحاة البصرة ونحاة الكوفة و حتى بين نحاة المدرسة الواحدة و قد ابعدت هاته المشاكل علماء العربية عن استشراق افاق هذه اللغة و ابعدتهم عن النظرية الموضوعية و المنهج السليم و حالت بينهم و بين التبصر في تراكيب العربية و دراسة مافيها من مرونة و اتساع .

الكلمات المفتاحية: العامل – النظرية – النحو– الارهاصات – النشأة – المفهوم – العوامل – اللفظية – المعنوية – الاعتدال – المحدثين.

Abstract:

The theory of the worker in the Arabic grammar raised special linguistic problems, including the multiplicity of opinions and the great controversy and controversy between the Basra women and the women of Kufa and even among the school teachers. These problems were removed by the Arab scholars on the Orientalism of the horizons of this language and away from the objective theory, Among them insight into Arabic structures and a study of its elasticity and breadth.

Keywords:

Factor - Theory - Grammar - Arrays - Origin - Concept - Factors - Verbal - Morality - Moderation - Modernists.

هناك مساحات واسعة و اراء متعددة لنظرية العامل في التراث اللغوي العربي و النحوي على الخصوص ، فبالملاحظة الدقيقة و استقراء الظواهر اللغوية توصل النحاة الاوائل الى اكتشاف نظرية العامل و ما ينبثق عنها من احكام و تعريفات ، كما بينوا اهميتها في النحو العربي و ضرورتها في تفسير اهم ظاهرة لغوية يقوم النحو العربي عليها الا وهي ظاهرة الاعراب، وهذه النظرية قبل ان تكتمل بابوابها و قواعدها نما و تطور فيها العامل حتى اصبحت نظرية كاملة.[1]

إن فكرة العامل للعقل فيها نصيب واضح لما فيها من حديث عن التأثير و التأثر و الوجود و العدم و اذا كانت هذه الفكرة ذات صبغة عقلية هكذا فان مجال الحديث عن نشأتها قد تحدد و هو الجو العقلي العام الذي احاط بالنحو و نشأته و تطوره فاما ان تكون تلك الفكرة قد عرفت مباشرة عن غيرها او ان الباحثين في النحو قد ابتدعوها بعقولهم دون مساعدة او انهم تأثروا في ابتداعها بعامل خارجي ثأثرا غير مباشر، حيث انه في نهاية القرن الاول للهجرة وبداية القرن الثاني بدأ التأسيس للنحو العربي كعلم قائم بحد ذاته بفروعه و نظرياته و خصائصه و ظهر علماء اجلاء اسسوا له و اقاموا له القواعد و النظريات من اشهرهم عبد الله بن اسحاق الحضرمي ت 117هـ ، الذي يقول فيه ابن سلام (كان اول من بعج النحو و مد القياس و شرع العلل)[2] و هناك تلميذه عيسى ابن عمر الثقفي ت 149هـ، الذي يتبدى ظهور اولى الارهاصات للعامل لديه بوضوح فقد حاول تفسير الظواهر الاعرابية و ربطها بالمعنى أو بما يستقر في ذهن المتكلم من قصد و اراده.[3]

و الملاحظ ان عيسى ابن عمرو لم يقل بالعامل صراحة و لكن في ارائه النحوية مذاهب لا تفسر الا بالعامل من ذلك انه كان ينصب كل اسم يقع قبل فعل مشغول عنه بضمير و في نظرية العامل يسمى باب الاشتغال.

و الملاحظ ايضا على ابن اسحاق و تلميذه عيسى ابن عمر الثقفي انهما مهدا لظهور نظرية العامل الا انها لم تتضح و تتبلور كما ستكون عند الخليل و الذي ثبت اصول نظرية العامل و ارسى قواعدها العامة، حيث يذهب الى انه لابد مع كل رفع كلمة او نصب او خفض او جزم من عامل يعمل في الافعال و الاسماء المعربة و مثلها الاسماء المبنية، ويريان العامل عادة لفظي

كالافعال و الحروف و الاسماء و عادة معنوي كالابتداء[4]، ولعل نسبة هذه الظاهرة اللغوية الى النحو تقتضي النظر و التحقيق فالمشهور ان النحو من الزاوية النظرية- علم مستخرج بالمقاييس من استقراء كلام العرب الموصلة الى معرفة احكام اجزائها التي ائتلف منها- و هو من الناحية العلمية انتحاء سمة كلاو العرب في تصرفه من اعراب و غيره كالتثنية و الجمع و التحقير و التكسير... و اذا حللنا هذين المعنيين لمفهوم النحو تبين انه احكام صيغ المفردات المتميزة و احكام تركيبها في الكلام أي ما يعرف بالعلمين الاعراب و الصرف خلافا لما عليه بعض المتأخرين و المعاصرين هذا في حين ان العمل الذي نحن امامه اما يبتدئ في التركيب لا في صوغ المفردات اي في الاعراب دون الصرف و لذا ترانا نصيب كبد الحقيقة اذا ما نسبناه الى الاعراب وحده و نفينا عنه نسبته للنحو كله لنزيل ما قد يعتري الاذهان من تدخله في بنى الكلمات مفردة قبل التركيب، انه اذا عمل اعرابي....[5]

يقول الزجاجيعن الخليل(و ذكر بعض شيوخنا ان الخليل ابن احمد رحمه الله شئل مرة عن العلل التي يعتل بها في النحو فقيل له اعن العرب اخذتها ام اخترعتها من نفسك؟ فقال: ان العرب نطقت على سجيتها و طباعها و عرفت مواقع كلامها و قام في عقولها علله و ان لم ينقل ذلك عنها و اعتللت انا بما عندي انه علة بما عللته منه). و الف سيبويه كتابه(الكتاب) و بدا متأثرا بالخليل اذ اعتمد على ارائه و ملاحظاته في تاليف الكتاب بالاضافة الى انه ضمنه اراء الخليل من اوله الى اخره فاخرج نظرية العامل من مجرد ملاحظات الى نظرية تامة الجوانب في قوانينها و اصولها و ابوابها و اقام كتابه على اساسها ، وبذلك يكون الخليل قد اكتشف امورا هامة في العامل مثل قواعد الحذف و الالغاء و مراتب العامل و المعمول...الا ان نظرية العامل اكتملت ابوابها و احكامها النحوية و اتضحت معالمها في النحو على يد سيبويه.

ان العامل هو المؤثر في رفع الكلمة او نصبها او جزمها، و قد تتداخل العوامل كثيرا لدرجة ان النحاة يقسمونها على اعتبارات شتى و من هنا لا نعدم القول للتاكيد بان النحو العربي قائم على نظرية العامل و التي تشمل:

العامل + المعمول + الاثر الذي يحدثه العامل في المعمول.

فالعامل اذا هو المفردات من اسم او فعل او حرف و هم يريدون ما في المفردات من معنى مضمن و قد جاء حده و تعريفه: (العامل النحوي يقتضي اثرا اعرابيا في الكلم و منه ماهو معنوي كالابتداء ومنه ماهو لفظي كالاسماء و الافعال و الحروف.[6]

وعرفه الجرجاني بقوله: العامل ما اوجب كون اخر الكلمة على وجه مخصوص من الاعراب. و تبعه في هذا التعريف التهاوني صاحب الكشاف، وعرفه ابن رشاد في المقدمة فقال: العامل هو ما عمل في غيره شيئا من رفع او نصب او جر او جزم على اختلاف العوامل، فالعامل اذا هو الموجد لشيئين هما:

- الحالة الاعرابية من رفع او نصب او جر او جزم.
- العلامة الاعرابية التي تقع في اخر الكلمة و تدل على حالتها الاعرابية و هذه العلامة حركة او سكون او حرف.

و قد اختلف النحويون في حقيقة العامل على ثلاثة مذاهب:[7]

1/ ذهب اكثر النحويون الى ان العامل هو الكلمات او المعاني، فالكلمات نفسها تحمل بين طياتها قدرة على التاثير في كلمة اخرى او عدة كلمات فتحدث فيها الرفع او النصب او الجر او الجزم، فاذا قلت مثلا: ذهب زيد، فان ذهب نفسها هي التي احدثت الرفع في زيد و هي التي احتلت العلامة الاعرابية فيها و هي الضمة و نحن نلاحظ السمة الحسة في كلام النحويين عن العامل حتى تصبح كأنها كائنات حية تقوى و تضعف و تحتاج احيانا الى ما يقويها و يأخذ بيدها و ذلك نحو حديثهم عن المقارنة بين العامل اللفظي و العامل المعنوي فاللفظي عندهم اقوى لانه محسوس يدرك بالسمع و المعنوي دونه لانه معقول يستنبط لا محسوس.

2/ ذهب ابو الفتح عثمان بن جني الى ان العامل هو المتكلم فقال اذا قلت ضرب سعيد جعفرا فان ضرب لم تفعل في الحقيقة شيء و هل تحصل تحصل من قولك ضرب الا على اللفظ بالضاد و الراء و الباء على صورة فعل فهذا هو الصوت و الصوت مما لا يجوز ان يكون منسوبا اليه الفعل.

3/ ذهب ابن مضاء القرطبي الى ان العامل الذي يحدث حركات الاعراب انما هو المتكلم نفسه و قبل ان يدلي برايه هذا ذكر ما يراه سيبويه في حركات الاعراب و هو ان هذه الحركات ناجمة عن العوامل.

ان النحاة الاوائل اكتشـفوا نظرية العامل و قامو بوضـع اصـولها و من بين هذه الاصـول ان العوامل تنقسـم الى قسـمين لفظية ومعنوية.

و تقسم العوامل اللفظية الى ثلاث: احدها الافعال و ثانيها الحروف و ثالثها الاسماء.

- **العوامل من الافعال**: تعد الافعال من اقوى العوامل لان معمولاتها كثيرة و متنوعه و يتمثل عمل الافعال في رفع الفاعل و نصب المفعولات و نصب الحال، تمييز النسبة، كما ان الافعال تعمل في الجمل و تعمل فيها ما تقدم عليها و ما تاخر عنها، والافعال ليست كلها سواء في العمل فهناك الفعل القاصر عن نصب المفعول به و هو الفعل اللازم رغم عمله في الفاعل و المفعول المطلق و الظرف و الحال و التمييزو شبه الجملة و هناك الفعل الناقص الذي يقتصر على رفع ما كان مبتدا و نصب ما كان خبر. وهناك الافعال الضعيفة في العمل كالافعال الجامدة و افعال المدح و الذم و فعلي التعجب و افعال الاستثناء فهي كالادوات لا تستطيع ان تعمل فيما تقدم عليها الا ان هذا لا ينفي انه لا يوجد فعل غير عامل فكل الافعال تعمل بغض النظر عن قوة هذا العمل او ضعفه، فلابد للفعل ان يعمل في الفاعل و لا يجوز تقدم المفعول به، كما انه لابد للفعل من معمول و بذلك يفوق عمل الفعل و عمل الحروف و الاسماء بالاضافة الى ان الفعل يعمل ظاهرا و يعمل مقدرا و بذلك تعمل الافعال كلها تامة او ناقصة لازمة او متعدية متقدمة او متاخرة ظاهرة او مقدرة.

- **العوامل من الحروف**: الحروف العاملة عادة ما تسـمى الادوات تمييزا لها عن الحروف غير العاملة او المهملة و الحروف العاملة هي التي تختص بالاسماء فلا تباشر الافعال و هناك التي تختص بالافعال فلا تباشر الاسماء....[8]

و بذلك تكون الحروف العاملة هي حروف الجر و الاحرف المشبهة بالفعل لانها تدخل الا على الاسماء بالاضافة الى ادوات الجزم و نواصب الفعل المضارع ، اما حروف العطف و التفسير و الاستفتاح و حروف الاستفهام فهي حروف مهملة لانها تدخل على الاسماء و الحروف.الا ان هناك حروفا غير مختصة و مع ذلك تعمل و حروف ذات اختصاص و مع ذلك لا تعمل مثل: ما النافية فهي لهجة سكان الحجاز.

وكما تختلف الافعال قوة و ضعفا تختلف الحروف اصالة و فرعا فبعضها يعمل هو فيه اصيل كاحرف الجر و النواصب و الجوازم و بعضها الاخر يعمل عملا هو فيه فرعا كالاحرف المشبهة بالفعل و اداة النداء.

- **العوامل من الاسماء:** الاسماء في الاصل تعمل فهي معمولات لا عوامل و لما كان بعضها يشبه الفعل و البعض تضمن معنى الحرف او ناب عنه فهي عاملة و ماشابه الفعل من الاسماء كان اقوى من الاسماء التي تتضمن معنى الحرف و تتفاوت الاسماء قوة وضعفا بحسب قربها او بعدها عنها و كلما كانت الاسماء اقرب الى الافعال كانت اقوى في العمل ولذلك الفعل كان اقواها..[9]

- **اسم الفاعل:** هو اقوى الاسماء العاملة لانه شبيه بالفعل المضارع شبها لفظيا و شبها معنويا و اسم الفاعل يقوم بما يقوم به الفعل من وظائف.

- **اسم المفعول:** يلي في قوة العمل اسم الفاعل فهو يشبه الفعل المضارع لفظا اذا كان فوق الثلاثي و يشبهه معنى وهو يعمل عملان رفع نائب الفاعل و نصب المفعول به الثاني و الثالث اذا كان فعله متعديا الى مفعولين كان نقول : انه مكسوا ثوبا.

- **المصدر:** يعمل عمل الفعل لانه يشبهه في دلالته على الحدث و لان حروف الفعل ثابتة فيه و مع ذلك عمله في رفع الفاعل قليل، لنقص دلالته على الفعل اما عمله في المفعول به فكثير خاصة حين يكون منوبا او مضافا ويقل حين يكون معرفا بـ- أل- ويشترط النحويين لعمله وقوعه موقع الفعل او موقع المصدر المؤول لكن هذا ليس لازما في كل موضع ويبقى اضعف المشتقات عملا عند النحويين لانه ابعد منها عن الفعل في طبيعته.[10]

- وهناك ايضا صيغ المبالغة و اسم التفضيل من المشتقات ومن الاسماء العاملة ايضا وليست من المشتقات هناك اسماء الافعال، الاسماء المبهمات كناصب التمييز.[11]

اما الاسماء العاملة عمل الحروف فهناك ضربان:

- ضرب ضمن معنى الحروف وهو اسماء الشرط
- ضرب ناب عن الحرف الحرف و هو المضاف.

العوامل المعنوية: من جملة ما ذكره النحاة عن العوامل المعنوية نجد:

- **الابتداء** : هو من اشهر العوامل المعنوية خاصة عند نحاة البصرة حيث ذهب سيبويه الى انه يعمل في المبتدا رفعا ثم يفقد قدرته على العمل فلا يكون له سلطان على الخبر لانه يرفع بالمبتدأ ويرى الاخفش الاوسط ان الابتداء يرفع المبتدأ و الخبر كليهما فلما كانت –ان– تنصب الاسم وترفع الخبر فكذلك رفع الابتداء للمبتدأ و الخبر.
- **رافع الفعل المضارع:** الاصل في الفعل ان يكون مبنيا ولكن الفعل المضارع معرب استحسانا كما يقول نحاة البصرة لانه ضارع اسم الفاعل في لفظه ومعناه ويلجأ سيبويه الى القياس في رافع الافعال المضارعه فيقول: (و كينونتها في موضع الاسم ترفعها كما يرفع الاسم كينةنته مبتدأ) اما عند نحاة الكوفة فرافع الفعل المضارع هو التجرد من عوامل النصب و الجزم .
- **الخلاف او الصرف:** و هو عامل معنوي قال به نحاة الكوفه دون غيرهم ومعناه ان يكون في التركيب ما يدل على الرابط بين شيئين او اكثر في الحكم الا ان المتكلم يريد ان يخرج الحكم الثاني من الحكم الاول فيخالفه في الحركة الاعرابية لتكون هاته المخالفة وسيلة رمزية ترمز للمعنى المراد .

نظرية العامل بين التأييد و المعارضة:

ان النحاة الاوائل اهتدوا الى نظرية العامل و اثبتوا وجود العامل في النحو العربي فبعد اكتشاف الخليل و سيبويه للعامل وتأسيس سيبويه لنظرية العامل جاء من النحاة بعدهم من قال بنظرية العامل و عمل على اثبات ذلك بالاحتجاج القوي و القياس الدقيق متأثرا في ذلك بالمنطق في تعليل المسائل النحوية و هناك العديد من النحاة من اكدوا وجود العامل و اكملوا ما جاء به الخليل وسيبويه .

1– ابن سراج: من نحاة البصرة الذين قالوا بوجود العامل في النحو العربي و الذي اكد على ذلك من خلال ارائه المتعددة في العوامل منها قوله: (ان العامل من الحروف يجب ان يكون يختص بدخوله عليه من اجل عمله فيه...)[12] اي ان الحروف العاملة يجب ان تكون مختصة حيث هناك حروف مختصة بالافعال و حروف مختصة بالاسماء و اكد على قوة الفعل في العمل قال: (و اعلم ان كل فعل لا يخلوا من ان يكون عاملا و اول عمله ان يرفع الفاعل او المفعول الذي هو حدوث عنه مثل: قام زيد وضرب

عمرو..)[13] اما الاسم عند ابن سراج فعمله ضعيف بحيث لا يعمل الا في اسم يقول: (و اعلم ان الاسم لا يعمل في الفعل و لا في الحرف بل هو المعرض للعوامل من الافعال و الحروف).

2– ابن المبرد: يؤكد ابن المبرد على انه لا وجود لحركة اعرابية الا وكان سببها العامل و يرى ان العامل قد يكون عاملا و يكون معمولا قال في ذلك (الاعراب لا يكون الا بعامل فاذا جعلت لها عوامل تعمل فيها لزم كأن تجعل للعوامل عوامل و كذلك للعوامل عوامل الى مالانهاية).

3– الزجاجي: من اعلام البصرة اهتم بالتعليل سواءا في المسائل النظرية او العملية اما قوله بوجود العامل في النحو العربي فنستدل عليه من خلال ارائه التي ضمنها كتابه (الايضاح في علل النحو) و بعد ان تكلم عن الفعل و الاسم و الحرف و عن ايهم اسبق في المرتبة و القدم عند البصريين و الكوفيين قال: (سؤال يلزم القائلين بهذه المقالة يقال لهم لقد اجمعتم على ان العامل قبل المعمول فيه كما ان الفاعل قبل ما فعله و كما ان المحدث سابق لحدوثه و انتم جميعا مقرون ان الحروف عوامل في الاسماء و الافعال...)[14] .

4– عبد القاهر الجرجاني: قا ان العوامل ثلاثة احدها ان يكون الافعال و الثاني ان يكون من الحروف و الثالث ان يكون من الاسماء، ثم قسم العوامل الى مائة عامل : عاملان معنويان و ثمانية وتسعون لفظيا منها واحد و تسعون عامل سماعي و سبعة عوامل قياسية.

ورغم ان الكثير من النحاة اعتبر نظرية العامل الدعامة الاساسية التي قام عليها النحو العربي الا انه ظهر من النحاة من رفض نظرية العامل وخرج عليها و اعتبر انه لا اساس لوجود العامل في النحو العربي و هذا الرأي مثله جماعة من النحاة منهم:

1– قطرب: هو من تلاميذ سيبويه ثار على ارائه و افكاره خاصة فيما يتعلق بمسألة العامل اذ يرى انه لا قيمة للعمل الاعرابي يقول: (انما اعربت العرب كلامها لان الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف و الوصل و كانوا يبطؤون عند الادراج فلما وصلوا و امكنهم التحريك جعلوا التحريك معاقبا للاسكان ليعتدل الكلام.[15]

2- ابن جني: من العلماء الذين لم يكن رفضهم كليا لنظرية العامل حيث عارض فكرة العامل اللفظي و المعنوي عند سيبويه و النحاة من بعده و اراد استبدال هذا العامل بعامل غيره هو عند المتكلم.

ابن مضاء: اقام ابن مضاء ثورة على نظرية العامل تحت شعار نبذ التقليد و اطلاق الحرية للفكر و تخليص النحو من تكلف التقديرات و التاويلات التي الصقها النحاة ، واراد من خلالها هدم لنظرية هدما كليا من خلال كتابه الرد على النحاة .ومن المسائل التي خالف فيها النحاة و اعترض فيها على العامل:

- الحذف و التقدير
- الاعتراض على تقدير الضمائر في الصفات
- الاعتراض على تقدير متعلق الجار و المجرورالغاء تقدير الضمائر في الافعال
- واو المعية و فاء السببية.

الخاتمة

ان نظرية العامل كانت الدعامة الاساسية التي قام عليها النحو العربي و هو و ان كانت قضية نظرية الا انها تساعد على الضبط و التحكم في الاستغلال اللغوي و في فهم و تفسير التغير الذي يلحق اواخر الكلمات العربية.كما انها عبارة عن مجموعه ن القوانين و القواعد التي تحكم نظام الاعراب الذي يعد من ابرز خصائص اللغة العربية.

الهوامش:

1 – ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء : عند احمد شامية في اللغة د، دار البلاغ للنشر و التوزيع، ط1، الجزائر2002، ص99.

2– محمد خير الحلواني: اصول النحو العربي، الناشر الاطلسي للدا ر البيضاء، المغرب ، ص65.

3– المرجع نفسه،ص69-70.

4– سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون دار الجيل، بيروت،ص280.

5– فخر الدين قباوة، مشكلة العامل النحوي و نظرية الاقتضاء دار الفكر للطباعة و التوزيع و النشر ، دمشق،ط2003،3،ص 23 –33

6–مجدي وهبة، المعجم الوسيط، دار احياء التراث العربي، القاهرة، ص20.

7– المرجع نفسه، ص26.

8 – المرجع نفسه، ص28.

9 – محمد خير الحلواني ، نفسه، ص161.

10 – المرجع نفسه، ص165.

11–جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، تحقيق عبد السلام مكرم، دار البحوث العلمية، ط2، بيروت،1975،ص205.

12 – ابو بكر بن السراج، الاصول في النحو، عبد الحميد الفتلي، دط، مؤسسة الرسائل، سوريا،ص52.

13 – المرجع نفسه، ص54

14ا– بو القاسم الزجاجي ، الايضاح في علل النحو،ص 81.

15– المرجع نفسه،ص70-71